الفصل الحادي عشر

فلاسفة معاصرون في أمريكا

تنقسم الولايات المتحدة فكريًا إلى قسمين، أحدهما أوروبي والآخر أمريكي. وأمريكا الأوروبية تشمل الولايات الشرقية. وهناك في تلك الولايات يحترمون الجيل القديم ويقدرونه حق قدره. كما أن المهاجرين الجدد إلى أمريكا يشعرون بحنين وشوق إلى ثقافة بلدانهم الأوروبية التي أتوا منها. وهنا يوجد صراع بين الروح الأوروبية الرصينة وروح التجديد المبدعة. ولابد من أن ترضخ طريقة الفكر والعادات الإنجليزية القديمة لثقافة القارة التي تحيط بها من كل جانب. كما أن المزاج البريطاني لا يزال سائدًا في مجال الأدب، لكنه فقد سيادته على الأخلاق في المنطقة الشرقية أيضًا. أما مدن المحيط الأطلنطي فهي ذات تراث أدبي إنجليزي، كما أن الفلسفة هناك تسير على الطريقة الإنجليزية أيضًا. فقد أنجبت إنجلترا الجديدة واشنطن وأرفينج وغيرها من المدن. وأفسحت المجال أمام المفكر الأمريكي الغريب "جورج سانتانا". وذلك لأنه فيلسوف أمريكي بحكم الجغرافيا فقط، إلا أنه ولد في أسبانيا. كما أنه عاد إلى أوروبا بعد نضجه كمن يعود إلى الوطن بعد طول غياب.

أما أمريكا الأخرى، فتشمل الشعب الأمريكي قلبًا وقالبًا. إن أحاسيسهم وأفكارهم وأخلاقهم أمريكية. إنهم شعب لا يتحلى برقة العائلات المقيمة في واشنطن ونيويورك وفلادلفيا، كما أنه يملك عاطفة الأوروبيين الجنوبيين أو الشرقيين المتقلبة. إنهم من الرجال والنساء المعتادين على الخشونة والاستقامة وبساطة الحياة. أنها أمريكا الحصان والعمل اليدوي. وهذه هي أمريكا التي أثرت على "وليم جيمس" فأصبح الناطق باسم فلسفتها، كما أنجبت أيضًا الفيلسوف الأمريكي "جون ديوي".

وهنا في هذا الكتاب، سنتناول سانتيانا أولاً بالرغم من أنه أصغر فيلسوف من فلاسفتنا الثلاثة، وذلك لأنه يمثل مدرسة أقدم. كما أن أفكاره أعمق وأسلوبه أروع. مما يجعلنا نقول إن أمريكا لن ترى مثل سانتيانا، وذلك لأنها من بعده ستضع فلسفة أمريكا وليست أوروبا.

جورج سانتيانا

• ١- سيرته الذاتية:

ولد سانتيانا في مدريد عام ١٨٦٣م، ومات في روما عام ١٩٥٢م. وقد جاء إلى الولايات المتحدة في عام ١٨٧٢م وظل فيها حتى عام ١٩١٢م. تخرج سانتيانا في جامعة هارفارد وعين أستاذًا بها. وظل يعمل في جامعة هارفارد من سن السابعة والعشرين إلى أن بلغ الخمسين. لكنه لم يكن راضيًا عن تلك البلاد التي يعيش فيها. فقد أرهف الشعر حواسه، وكان شاعرًا أولاً وفيلسوفًا ثانيًا. وقد عانى من ضوضاء المدن الأمريكية وسرعة الحياة فيها. فاتجه إلى بوسطن، فهي أقرب إلى أوروبا التي يحب التقرب إليها بأي طريقة. ومن بوسطن انتقل إلى كامبريدج وهارفارد. وهناك عاش في خلوة مع كتب أفلاطون وأرسطو. وكان يبتسم في أسى من شهرة زملائه. وابتعد عن الصحافة والجماهير.

وكان أول مقال له في الفلسفة بعنوان "حاسة الجمال" عام ١٨٩٦م وكان مقالاً رائعًا. وبعد خمس سنوات أصدر كتابًا رائعًا أيضًا بعنوان "تفسير الشعر والدين" ووجد إقبالاً أكبر من المقال بصورة ملحوظة. ثم ظل سبع سنوات بعد ذلك لا ينشر سوى قصائد الشعر من آن لآخر. ثم نشر سانتيانا أهم كتبه، وكان كتابًا ضخمًا مكونًا من خمسة أجزاء تحت عنوان: "حياة العقل" وعناوين أجزائه الخمسة، هي:

١- العقل في الإدراك السليم
٢- العقل في المجتمع
٣- العقل في الدين
٤- العقل في الفن
٥- العقل في العلم

وما أن ظهر هذا الكتاب الضخم حتى ارتفع مقام سانتيانا ووصل إلى قمة الشهرة في مجال الفلسفة. لقد كان سانتيانا مزيجًا من شعوب البحر المتوسط الأوروبية والفردية الأمريكية. وبعد ذلك ظل سانتيانا ينعم بالشهرة ويكتب الشعر ويؤلف بعض الكتب الصغيرة. ثم غادر هارفارد إلى إنجلترا فظن الناس أنه أكمل رسالته وأدى واجبه. إلا أنه فاجأ العالم مرة أخرى في عام ١٩٢٣م بكتاب بعنوان "الشك وإيمان الحيوان"، وقد أعلن أن هذا الكتاب سيكون قاعدة لفلسفة جديدة. وكان من الرائع والمفيد أن نرى رجلاً تجاوز الستين من العمر يخرج علينا بكتاب قوي في فكره وجميل في أسلوبه، ولابد لنا أن نبدأ تناول أعماله من كتابه الأخير هذا لأنه يفتح أمامنا الباب لفهم كل أفكار سانتيانا.

• ٢- الشك وإيمان الحيوان:

يقول سانتيانا في مقدمة كتابه هذا: "ستجد نوعًا آخر من الفلسفة .. فإن وجد قارئ هذا الكتاب ميلاً للابتسام .. سأبتسم معه. وأنا لن أحاول أن أقدم للقارئ إلا المبادئ التي تناسبه عندما يبتسم." وهنا يظهر سانتيانا مرونة كبيرة لاعتقاده بإمكانية وجود نظم فلسفية أخرى. وهذا غريب منه كفيلسوف، فهو يقول: "أنا لا أطلب من أحد أن يفكر مثلما أفكر إن كان يفضل فكر الآخرين."

وفي كتابه الأخير هذا، أراد سانتيانا أن يزيح عن الفلسفة ما لحق بها من خرافات نسجتها نظرية المعرفة فعرقلت الفلسفة الحديثة وأوقفت تقدمها. وقبل أن يعرف سانتيانا حياة العقل، بدأ في الحديث عن أصل العقل البشري. فهو يدرك أن أسوأ ما يقع فيه الفكر هو القبول بالآراء التقليدية قبولاً أعمى بلا تفكير. لذلك فقد بدأ بالشك، وهو يشك في كل شيء. أما ما يثق سانتيانا في صحته تمامًا فهو تجربة اللحظة. من حيث أننا ندرك هذا اللون وهذه الصورة والطعم والرائحة، وذلك حال إدراكنا لها. وهذه هي الأشياء اليقينية عنده.

ويرى سانتيانا أن المذهب المثالي صحيح ولكنه لا يصل إلى نتيجة كبرى. حقًا إننا نعرف العالم عن طريق أفكارنا فقط. وقد مضت آلاف الأعوام ونحن نثق بصدق إحساساتنا، فيمكننا إذن أن نقبل هذا القرار العملي (وهو الاعتماد على صدق الإحساس) دون أن نخشى شيئًا في المستقبل. وقد تكون عقيدة الإنسان خرافية،

إلا أن هذه الخرافة خير ما دامت الحياة تصلح بها. فصلاح الحياة خير من المنطق الصحيح، أن كانت الحياة تتحسن بالخرافة أكثر من تحسنها بالقياس المنطقي الصحيح. وقد دفعت كثرة الشك في صحة التجربة الحسية بالألمان إلى المرض، حيث بالغوا في الشك مبالغة شديدة مثل المجنون الذي يقضي حياته في غسل يديه لتنظيفها من أوساخ لا وجود لها.

• ٣- العقل في العلم:

ليس العقل عدوًا للغرائز، بل هو يساعدها على النجاح. والعقل عندنا عبارة عن الطبيعة التي وصلت إلى درجة الإدراك. فهي طبيعة تهتدي بالعقل لتتلمس طريقها وتعرف الغاية التي تسعى إليها. والعقل تزاوج جيد بين عنصرين هما الحافز الذي يدفع الإنسان والفكر الذي يفهمه. ولو انقطعت الصلة بين هذين العنصرين لانقلب الإنسان وحشًا ضاريًا أو مجنونًا لا يعي ما حوله.

وكتاب سانتيانا "حياة العقل" يقوم على العلم. والعلم يشمل كل أنواع المعرفة الموثوق بها. وسانتيانا يعلم ما في العقل من تقلب وعدم ثبات، وما في العلم من إمكانية الوقوع في الخطأ، وعلى الرغم من ذلك يرى أننا يجب أن نعتمد على العلم فقط. وهكذا أصر سانتيانا أن يفهم الحياة بطريقة سقراط الذي كان يرى أن الحياة بدون بحث لا تناسب الإنسان. ولذلك علينا أن نُخضع كل نواحي التقدم الإنساني للعقل، وكذلك كل ما يتصل بالإنسان من مصالح وتاريخ.

ومع كل ذلك نجد أن سنتيانا متواضع وبسيط، فهو لا يقدم لنا فلسفة جديدة، بل يريد تطبيق فلسفات قديمة في حياتنا المعاصرة. فهو يرى أن أفضل الفلاسفة هم أقدمهم. لذلك فقد واجه مشكلات الحياة الحديثة بمذهب ديمقريطس الذري ونظرية أرسطو في الأخلاق. كما أنه يقول عن ميله للفلسفة المادية: "إنني في الفلسفة الطبيعية مادي بشدة. لكني لا أدعي أني أعرف ما هي المادة ولا أتوقع من العلماء أن يخبرونا. لكن أنا أعرف أن اسمها هو "المادة" تمامًا مثلما أعلم أن أسماء أصدقائي هي جون وآرثر وغيرهم، دون أن أعرف أي شيء من أسرارهم." لكن لم يسمح سانتيانا لنفسه باعتناق مذهب يقول بوحدة الكون ويرى أن تلك الوحدة هي الله (حاشا لله)، ويرى سانتيانا أن ذلك المذهب مجرد مهرب من الإلحاد.

ويرى سانتيانا أنه من المحتمل أن يكون أساس العالم أجمع آليًا، كما يرى أن افتراض المبدأ الآلي هذا هو أفضل طريقة للبحث في علم النفس ودراسة العمليات النفسية الظاهرة والباطنة. كما رأى أن الحياة كلها مادية وآلية، وأن الإدراك العقلي ليس شيئًا قائمًا بذاته بل حالة وعملية لا تأثير لها على الجسد. والنفس ما هي إلا تنظيم دقيق وسريع داخل جسد الحيوان، وهي شبكة كبيرة من الأعصاب والأنسجة تنمو من بذرة في كل جيل.

لكن، هل يجب علينا أن نقبل ذلك الاتجاه المادي عند سانتيانا؟ من العجيب أن يرتبط شاعر ومفكر حساس مثل سانتيانا بالفلسفة المادية التي عجزت طوال قرون عديدة عن تفسير نمو الشجرة أو طلوع الزهرة أو ابتسامة الطفل.

• ٤- العقل في الدين:

ظل سانتيانا محبًا للمذهب الكاثوليكي على الرغم من تخليه عن العقيدة الدينية. فهو رجل عادي يشعر بالحب والحنين لمن خدعته، كما أنه يبكي لضياع إيمانه ويعتقد أن الإيمان خطأ جميل[١] يلائم ميول النفس البشرية أكثر من الحياة نفسها.

وقد كان هذا الحب للمذهب الكاثوليكي وهذا الكفر المؤمن[٢] دافعًا لسانتيانا كي يكتب كتابه المهم "العقل في الدين" وصفحاته مليئة بالشك والإلحاد والحزن[٣]. فقد كان سانتيانا يحب الكاثوليكية وله أسبابه في ذلك. وهو يسخر من المذهب الأرثوذكسي والاعتقاد بأن العالم موجود من أجل الخير للإنسان، كما أنه يسخر من العلماء الذين توهموا أنهم أبطلوا الدين بالعلم[٤]، وذلك دون أن يعلموا أي شيء عن معنى العقائد الدينية وعملها الحقيقي.

---

(١) - هذا نوع من أنواع التناقض الذي أشرت إليه في التعقيب على هذا الكتاب. فكثير من الفلاسفة لا يريدون أن يعلنوا أنهم مؤمنون ولا يريدون إعلان الإلحاد الصريح أيضًا. لذلك نجد أن سانتيانا يسير على نفس المنوال ويحدثنا عن الخطأ الجميل الذي هو الإيمان، ولا حول ولا قوة إلا بالله. (المترجم)

(٢) - هذا التناقض والتأرجح بين الإيمان بالأخلاق والكفر بالدين والذي صادفنا أكثر من مرة في هذا الكتاب، جعل مؤلف الكتاب (ديورانت) يستخدم تعبيرًا يناسبه وهو تعبير «الكفر المؤمن». (المترجم)

(٣) - للمرة الثالثة وفي نفس الصفحة يتأكد القارئ مما أشرنا إليه، فالكتاب اسمه «العقل في الدين» وقد وصفه ديورانت بأن صفحاته مليئة «بالشك والإلحاد». (المترجم)

(٤) - أضاف سانتيانا بُعدًا جديدًا في هذا الموضوع وهو السخرية الواضحة من رجال الدين ووصفهم بأنهم لا يعلمون أي شيء عن العقائد وحقيقتها. (المترجم)

كما أن سانتيانا يعتقد أنه لا يوجد ما يضاهي الدين المسيحي في جماله[1] بشرط ألا نفهمه فهمًا حرفيًا. لكن الألمان -الذين سماهم سانتيانا برابرة الشمال- أصروا على الفهم الحرفي للدين المسيحي. وقد أدى ذلك إلى انهيار المذهب الأرثوذكسي في ألمانيا. فالأخذ بحرفية العقائد الدينية القديمة يبطلها. كما أن سانتيانا لا يشعر بالتعاطف مع المذهب البروتستانتي بحكم تكوينه الوراثي، حيث يفضل الكاثوليكية التي نشأ عليها في شبابه. وهو يحتقر البروتستانت لأنهم تخلوا عن الأساطير الجميلة، وتجاهلوا مريم العذراء التي يعتبرها سانتيانا أجمل زهرة في بستان الشعر. وهو يضع صور العذراء والقديسين على جدران غرفته. كما أنه يحب المذهب الكاثوليكي أكثر من أي مذهب آخر. ويفضل الفن على الصناعة لنفس السبب.

• ٥- العقل في المجتمع:

المشكلة الكبرى التي تواجه الفلسفة وتبحث لها عن حل هي الوسيلة التي تجعل الناس تتمسك بالفضيلة. وقد قدم كل من سقراط وسبينوزا حلولاً لذلك تمثلت في نظريات أخلاقية كاملة. وإن استطعنا إجبار الناس على اتباع هذين النظامين لتحسنت حياتهم وجميع أحوالهم. لكن يستحيل تطبيقها الآن لأنها صعبة التطبيق. ويبدو أن ذلك الحلم سيظل حلمًا في عقول الفلاسفة فقط. أما بالنسبة للناس العاديين فإن طريق تحسين الأخلاق يمر من خلال تنمية العواطف الاجتماعية التي تزدهر بحب الوطن.

كما أن الأسرة لا تزال نواة المجتمع الرئيسية. وهي النظام الرئيسي للمجتمع، وهي وحدها قادرة على بقاء الجنس البشري حتى لو فشلت في ذلك كل أنظمة العالم الأخرى. لكن الأسرة وحدها لا يمكنها العمل على تقدم البشرية إلا إلى مستو محدد فقط. فالمدنية تتقدم إلى الإمام فقط عن طريق نظام أوسع وأكثر تعقيدًا من الأسرة. وهذا النظام هو الدولة، وقد تكون الدولة وحشًا كاسرًا كما قال عنها نيتشه وتصبح نوعًا من الطغيان، إلا أن هذا الطغيان يقضي على كل أنواع الطغيان الأخرى. فيصبح هو الطغيان الوحيد. فإن كانت الدولة تفرض علينا الضرائب، فهذا أفضل لأننا ندفع لجهة

(١) - استمرار في التناقض والتأرجح، فأغلب الفلاسفة يحبون الدين لكن على طريقتهم. يحبون بعض ما فيه ويكفرون بالبعض الآخر أو يشترطون (الفهم الحرفي) كما يشير سانتيانا أو يضعون شروطًا أخرى. (المترجم)

واحدة فقط بالتراضي والهدوء بدلاً من دفع إتاوات لكثير من القراصنة دون إنذار أو رحمة.

ومن هنا نشأت روح الوطنية بين الناس. فهم يدركون أن ما يدفعونه من ضرائب قليل جدًا في مقابل تجنب الفوضى والاضطرابات التي يمكن أن يتعرضوا إليها لو لم تكن هناك حكومة تسهر على حمايتهم.

لكن سانتيانا يسأل ما إذا كانت الوطنية خير للناس أم شر؟ وهو يسأل لأن هذه الوطنية تميل إلى اتهام دعاة الإصلاح والتغيير بالخيانة. وقد يؤدي ذلك إلى ثورة. والثورات قد يغلفها الغموض وعدم الوضوح، وقد يأتي دعاة الإصلاح بحكومة جديدة تكون نواة لانتهاكات جديدة ومن ثم ثورة جديدة عليها.

فما هو شكل الحكومة والمجتمع الذين ينبغي أن نسعى لهما، ونكافح من أجلهما؟ قد يكون الجواب ألا نسعى من أجل حكومة معينة، فالفروق بين أنواع الحكومات ضيقة جدًا. لكن سانتيانا يفضل الحكومة التي تقوم على أكتاف أصحاب المواهب، وهي حكومة أرستقراطية، لكنها ليست وراثية. إنها حكومة تجمع ما بين الديمقراطية والأرستقراطية. إنها ما ينشده هذا العالم منذ زمن طويل لينجو بنفسه من الفوضى السياسية التي يعاني منها الآن.

• ٦- تعليـــــق:

في الصفحات التي تناولنا فيها سانتيانا نجد كآبة من ابتعد عن كل ما أحب. حيث يعيش سانتيانا الأسباني الأرستقراطي في طبقة متوسطة في أمريكا. وفي الكتاب الأول من مجلدات "حياة العقل" يقول إن الفلسفة تتناول معنى الحياة الإنسانية والتاريخ وفي الكتاب الأخير يتساءل مندهشًا: هل هناك معنى أو خطة للحياة؟

ويبدو أن حاسة سانتيانا الدقيقة في تذوق الفن والجمال قد سببت له آلامًا من بشاعة الأشياء وقبحها، أكثر مما تمتع به من جمال الدنيا. فقد كان يبدو حادًا وساخرًا في بعض الأحيان، ثم يقف منزويًا ووحيدًا وشامخًا ويتساءل: ما هي الحكمة؟ ثم يجيب أنها: أن تحلم بعين واحدة مفتوحة وأن تعتزل العالم دون عداء معه وترحب بالجمال العابر، وتتقبل الألم العابر أيضًا.

وحتى يعيش الإنسان حياته، عليه أن يتذكر الحياة أكثر من الموت. وأن يقبل الأشياء الواقعية القريبة كما يقبل الآمال المثالية البعيدة. كما رأى سانتيانا أن الحكمة تنشأ من زوال الوهم والأمل الكاذب، وهكذا تبدأ الحكمة فقط. كما أن الشك هو بداية الفلسفة، لكنه ليس النهاية، فالنهاية هي السعادة والفلسفة ما هي إلا وسيلة. فلو حولنا الفلسفة إلى غاية نصبح كالهندوسي الذي لا هدف له في الحياة سوى تركيز بصره في النظر إلى سُرته.

كما رأى سانتيانا أن من تعود على الإيمان بالله وبيوم الحساب، يجد أن المذهب المادي يحطم كل آماله. لكن المادي عميق الإيمان بالمذهب المادي يسعد بالمادية وتتحول بهجته إلى عواطف كثيرة جميلة. إنه يشعر بنفس الحالة العقلية التي يشعر بها من يزور متحف التاريخ الطبيعي. ويرى آلاف الحشرات والحيوانات التي كانت حية في وقت ما لكنها ماتت منذ زمن وانتهى أمرها.

ولو كانت فراشات متحف التاريخ الطبيعي قادرة على النطق لقالت لنا إن متحف التاريخ الطبيعي مثل الفلسفة المادية تمامًا، معرض لأشياء ميتة.

وليم جيمس

لا حاجة بنا أن نذكر القارئ أن فلسفة سانتيانا فلسفة أوروبية في كل شيء إلا المكان الذي نشأت فيه. فقد كان سانتيانا من أصل أسباني، جاء إلى أمريكا وهو صغير. إلا أن تفكيره ظل أوروبيًا قلبًا وقالبًا. إنها فلسفة تتميز بالاستسلام والذي تتصف به الثقافة القديمة. ويمكننا أن نلاحظ ذلك في صفحات كتابه "حياة العقل" فنعلم أنه ليس صادرًا عن مواطن أمريكي.

أما وليم جيمس فهو صاحب الصوت والعبارة التي تتصف بالطابع الأمريكي. كما أنه استخدم فيما كتب تعبيرات أمريكية بسيطة ومألوفة لتوضيح أفكاره وتبسيطها حتى يفهمها الجميع.

ولد وليم جيمس في نيويورك عام ١٨٤٢م، وبعد أن قضى بضع أعوام في المدارس الأمريكية الخاصة أرسلته الأسرة مع أخيه هنري الذي يكبره بعام واحد إلى فرنسا للدراسة في مدارسها الخاصة. وهناك في فرنسا اطلع على بعض كتب علم النفس. قضى أخوه هنري معظم حياته خارج أمريكا وتجنس بالجنسية البريطانية. أما "وليم" فعاد إلى أمريكا، فقد شعر بآمال شبابها وفرصها المتاحة أمام الجميع. وسرعان ما وصل إلى قمة الشهرة. وأصبح اسمه بين أهم فلاسفة عصره. وفي عام ١٨٧٠م نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد وعمل بالتدريس فيها في الفترة ١٨٧٢-١٩١٠م حيث مات في ذلك العام. وقد حاضر في البداية في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، ثم في علم النفس، وأخيرًا في الفلسفة. وأعظم مؤلفاته هو أول كتبه، وهو بعنوان "أصول

علم النفس". وقد نُشر هذا الكتاب في عام ١٨٩٠م، وهو مزيج ملفت من التشريح والفلسفة والتحليل.

وقد تميز جيمس بالقدرة الرائعة على التحليل، لذلك انتهى به الأمر إلى الفلسفة. ثم العودة إلى الميتافيزيقا أخيرًا. وهو يرى أن الميتافيزيقا ما هي إلا محاولة للتفكير بوضوح. ويعرّف الفلسفة بقوله: "إنها التفكير الوحيد بالأشياء في أفضل طريقة شاملة ممكنة". وهكذا جاءت كل مؤلفاته التي نشرها بعد عام ١٩٠٠م في مجال الفلسفة. وهي بالترتيب: كتاب "إرادة الإيمان" ١٨٩٧م ثم كتاب "أنواع من التجارب الدينية" ١٩٠٢م. ثم بدأت كتبه الأشهر بعد ذلك، وهي: "البراجماتية[1]" ١٩٠٧م و"الكون المتعدد" ١٩٠٩م. وبعد موته بعام واحد نُشر له كتاب "بعض موضوعات الفلسفة" ١٩١١م. وأخيرًا نشر مجلد هام بعنوان "مقالات في المذهب التجريبي المتطرف" في عام ١٩١٢م.

• ١- البراجماتية:

يتجه جيمس في أفكاره دائمًا إلى الأشياء، فهو لم يبدأ حياته كميتافيزيقي مهتم بأمور سماوية وروحية غامضة. ولكنه واقعي ينظر إلى الفكر كضرورة، مهما اختلف الفكر عن المادة. والفكر مرآة أفضل بكثير مما اعتقده البعض، فهو لا يعكس مجرد أشياء منفصلة كما قال "هيوم" بل يعكس العلاقات والصلات بين الأشياء. فكيف يمكننا أن نضع معنى ونظامًا لأحاسيسنا؟ المعنى والنظام موجودان من قبل. وقد أنكر جيمس على مذهب الترابط تكون الفكر من ظواهر منفصلة، ويقول بأن الفكر تيار متصل، وأنه لا يجب أن نرجعه إلى ظواهر فسيولوجية. وحالات الفكر نوعان، حالات نشير إليها بأنها تعقل وتخيل وإحساس وإرادة. وحالات أخرى تتعدى ذلك مثل العطف

(١) - مذهب فلسفي سياسي يعتبر نجاح العمل المعيار الوحيد للحقيقة، رابطا بين التطبيق والنظرية، حيث أن النظرية يتم استخراجها عبر التطبيق، وقد نشأت هذه المدرسة في الولايات المتحدة في عام ١٨٧٨م على يدي وليم جيمس وتشارلز بيرس وغيرهما. (المترجم)

والاستدراك. وهكذا يمكننا اعتبار أن الدماغ ما هو إلا آلة نقل تصل الجسم بقوى فكرية.

وقد دُفع جيمس برغبته الجامحة في الوصول إلى الحقيقة إلى البراجماتية (المذهب العملي). وكان بحكم دراسته في فرنسا يميل إلى الوضوح ويكره الغموض والفذلكة الكلامية التي تتسم بها الميتافيزيقا الألمانية، كما كان يرى أن أبحاثها غير دقيقة. وبدأ في التفكير في معنى يثبت فيه بطلان هذه الأفكار المجردة.

ووجد جيمس ضالته عندما نشر الفيلسوف الأمريكي الشهير "تشارلز بيرس" مقالاً بعنوان "كيف نوضح أفكارنا" وقال فيه بأننا إن أردنا توضيح فكرة ما لابد لنا أن نفحص النتائج العلمية لهذه الفكرة. وبدون ذلك تظل الفكرة محل نزاع لا ينتهي ولا يصل بنا إلى أي فائدة تذكر." وقد رأى جيمس في هذا الرأي بداية جيدة وأراد أن يسير في طريقه. فبدأ البحث في الميتافيزيقا القديمة وتوصل إلى تعريف جديد للحقيقة. فالحقيقة هي القيمة الفورية للفكر، فبدلاً من أن نسأل عن مصدر الفكرة، فإن البراجماتية تفحص نتائجها. كما أن البراجماتية تتساءل عن نتائج الشيء وبذلك تحول الفكر إلى العمل والمستقبل.

• ٢- التعـــــدد[١]:

وقد طبق جيمس نفس الطريقة في تناوله لأقدم مشكلات الفلسفة. وهي وجود الله وطبيعته. وقد وصفت الفلسفة المدرسية الله بكل صفات الكمال، فالله عالم بكل شيء وقادر على كل شيء. وإذا كان الأمر كذلك فإننا لا نملك من أمرنا شيئًا ولا نستطيع التدخل في مصائرنا وأقدارنا. ولذلك فإن المذهب الكلفنيوسي القائل بأن الخلاص لن يكون إلا بنعمة من الله وليس بأعمالنا، وكذلك المذهب القدري (المؤمن

(١) - التعدد المقصود هنا هو تعدد الآلهة والعياذ بالله وهذا شرك واضح أبرأ منه إلى الله، وجيمس من أوضح أمثلة هذا الشرك، فغيره ممن ذكر من فلاسفة في هذا الكتاب كانوا يتوارون خلف مسميات (مثل القوة التي تحكم العالم والإرادة وغيرها) وعلل وتناقضات وتأرجح بين الأفكار. أما جيمس فهو أكثرهم وضوحًا ومجاهرة بالإثم. (المترجم)

بالقضاء والقدر) نتائج منطقية لهذا التعريف لله. وإن كنا سنعتقد في المذهب الجبري، سنتحول فورًا إلى الهندوسية ونستسلم للأقدار التي تحركنا كيف تشاء كما لو كنا ريشة في الهواء. لكننا بالطبع لا نقبل مثل تلك الفلسفات القاتمة. لقد توصل عقل الإنسان إلى مثل تلك الفلسفات لبساطتها وتناسقها، لكن الواقع يتجاهلها ويتجاوزها.

ويعتقد جيمس أن هذه الفلسفة لا عيب فيها من وجوه كثيرة. لكن هناك عيبين قويين يمنعان تطبيقها تطبيقًا شاملاً. وهما:

الأول: ألا يكون مبدأ الفلسفة النهائي مخيبًا لرغباتنا وآمالنا.

الثاني: أنها فلسفة تتناقض مع ميولنا لأنها لا تقدم لنا هدفًا نسعى من أجله.

وهي فلسفة لا تتناسب مبادؤها مع قوانا ولا تفيد في الشئون الشاملة، كما أنها ستكون مرفوضة من المتشائمين. وهذا هو السبب وراء اتباع المذهب المادي اتباعًا كاملاً.

فالناس يقبلون على الفلسفات أو يتولون عنها وفقًا لاحتياجاتهم وطبائعهم. وليس وفقًا للحقيقة الموضوعية. وهم لا يسألون: هل هذا منطقي؟ ولكن يتساءلون عن مدى تمشي الفلسفة مع حياتهم ومصالحهم.

وقد رأى جيمس أن الكون مليء بالفوضى والاضطرابات والتضارب، لذلك فهو ليس نتاجًا لإرادة واحدة وإله واحد (معاذ الله) ولابد من وجود إرادات متعددة وآلهة متعددة[1] !!

كما أن جيمس لا يعتقد في الفلسفة التي تقوم على التفكير في الموت وتأمله. فلا قيمة للأخلاق في نظره إلا إذا أرشدتنا إلى تحسين أوضاع حياتنا وأعمالنا على هذا الكوكب. وقد كرس حياته من أجل تحسين الحياة الإنسانية. وكان يمد يد المساعدة للناس وكان يدعو إلى الاستفادة من طاقات البشر الكامنة فيما يفيد البشرية.

(١) - صراحة ووضوح ومجاهرة بالكفر والإثم أشرت إليها في الصفحة السابقة. (المترجم)

وقد أظهر جيمس تعاطفًا مع الاشتراكية، لكنه أيضًا أوضح كراهيته الشديدة لما فيها من احتقار لقيمة الفرد وللعباقرة. فلا قيمة إلا للفرد وكل ما عداه ما هو إلا وسيلة فقط، بما في ذلك الفلسفة. ولهذا فنحن في حاجة إلى دولة تعلم أن واجبها هو خدمة الأفراد رجالاً ونساء والسهر على مصالحهم.

• ٣- تعليق:

يبدو أننا لسنا بحاجة إلى إرشاد القارئ إلى العناصر القديمة والعناصر الجديدة في فلسفة جيمس. إنها جزء من الحرب بين العلم والدين. وهي محاولة مثل محاولات كانط وبرجسون لإنقاذ الدين والإيمان من المذهب المادي. فالبراجماتية لها جذورها عند كانط في تمجيده للعقل وعند شوبنهور في تمجيده للإرادة. كما لها جذور في نظرية دارون حيث البقاء للأصلح. ولها جذور في المذهب النفعي الذي يقيس الأشياء بمدى نفعها واستخداماتها. ولها جذور أيضًا في الفلسفة الإنجليزية التجريبية الاستقرائية. كما استفادت من الآراء الأمريكية أيضًا.

أما طريقة جيمس في التفكير فهي طريقة أمريكية، ومن الواضح جدًا في أسلوبه وتفكيره حب الامتلاك والحرية الأمريكية. وقد سمى هونيكر[1] فلسفة جيمس باسم "المادية النفعية". وفي الحقيقة يوجد بها شيء من الاتجاه المادي.

وقد اعترف جيمس نفسه أنه لم يأت بجديد، فقال إن الفلسفة البراجماتية اسم جديد لفكر قديم.

وفي الحقيقة، فإن كل ما أراد جيمس أن يفعله هو إماطة اللثام من على الفلسفة[2].

---

(١) - أريك هونيكر (١٩١٢-١٩٩٤م): سياسي شيوعي ألماني، حكم ألمانيا في الفترة ١٩٧١-١٩٨٩م. وبعد توحيد ألمانيا أدين هونيكر بالقتل، وذلك لإعطائه الأوامر لحرس الحدود أثناء حكمه بإطلاق الرصاص على مواطني ألمانيا الشرقية أثناء محاولتهم الهرب إلى ألمانيا الغربية. وفي عام ١٩٩١م نقل المسؤولون السوفييت هونيكر إلى مستشفى في الاتحاد السوفييتي للعلاج من السرطان. وقد طلبت الحكومة الألمانية عودته. لكنه ذهب إلى المنفى في تشيلي وبقي فيها إلى وفاته هناك عام ١٩٩٤.م (المترجم)

(٢) - بل أماط اللثام من على الفلاسفة باعتباره ممثلًا لهم، فهو قد صارح بما لم يستطع أي منهم المجاهرة به وحاول تغليفه في مسميات أخرى. (المترجم)

فقد أعاد لنا وجهة النظر الإنجليزية القديمة الخاصة بموضوعات العقيدة، إلا أنه قدمها بطريقة جديدة. وبذلك يكون قد واصل ما بدأه بيكون، حيث وجه الفلسفة مرة أخرى نحو عالم الأشياء الذي لا فكاك منه.

وإن أردنا أن نعرف ما إذا كانت الأجيال التالية ستذكره أم لا، فإني أؤكد أنها ستذكره، ليس فقط لأنه أكد على النواحي التجريبية، ولكن أيضًا للواقعية الجديدة، وسيكون ذلك أكثر من تذكرهم لنظريته عن الحقيقة. وقد تقدره الأجيال حق قدره كعالم نفساني أكثر منه كفيلسوف. ومن المعروف أنه لم يجد أي إجابات للمشكلات القديمة، وقد اعترف صراحة أنه لم يأت بجديد.

جون ديوي

• ١- تعليم:

لم تكن الفلسفة البراجماتية فلسفة أمريكية على أي حال. فهي لا تصور الروح الأمريكية العظيمة الموجودة في جنوب وغرب الولايات المتحدة. وهي فلسفة تدعو إلى الأخذ بالنتائج العملية والأمور الواقعية. لكنها سقطت سقوطًا سريعًا. فقد بدأت كرد فعل سليم ضد الميتافيزيقا وفلسفة المعرفة، وكنا نتوقع منها أن تقدم فلسفة عن الطبيعة والمجتمع. ولكنها انتهت بالدعوة إلى احترام كل الأديان وكل العقائد.

فمتى تتعلم الفلسفة ترك الحديث عن الدين والموضوعات المحيرة حول حياة الآخرة؟ وتترك لعلم النفس مشكلات المعرفة ومصاعبها؟ وتوجه نفسها بكل قوة إلى تصوير الأهداف الإنسانية وتنظيم الحياة والارتقاء بها؟

أعدت الظروف "جون ديوي" للقيام بهذه المهمة وتلبية هذه الحاجة. إنها مهمة إيجاد فلسفة تعبر عن الروح الأمريكية الواعية المثقفة.

ولد ديوي في برلنجتون عام ١٨٩٥م ودرس هناك. وكأن الظروف كانت تعده لاستيعاب الثقافة القديمة قبل أن يتجه إلى الثقافة الحديثة. لكنه سرعان ما اتجه غربًا وبدأ يُعلم الفلسفة في جامعة مينسوتا. ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة متشيجان ثم إلى جامعة شيكاغو. ثم عاد إلى الشرق، فعمل بقسم الفلسفة في جامعة كولومبيا، وترأس القسم فيما بعد.

كتب جون ديوي فلسفة القارة الأمريكية كلها وليست فلسفة نيوإنجلاند وحدها. كتب ديوي فلسفة القارة مثلما كتب "ويتمان" شعرها.

لفت جون ديوي أنظار العالم إليه وهو لا يزال يعمل في جامعة شيكاغو، حيث كشف عن أفكاره في السنوات التي قضاها هناك. ولعل أعظم كتبه هو كتاب "الديموقراطية والتعليم" وقد جمع فيه مبادئ فلسفته وركزها حول مهمة النهوض بالجيل بطريقة أفضل. وقد اعترف له جميع المعلمين والأساتذة بالريادة. كما تأثرت بأفكاره معظم المدارس والجامعات الأمريكية. وقد قام بجهود فائقة لتطوير المدارس في جميع أنحاء العالم. كما قضى عامين في الصين يحاضر فيها أمام المعلمين عن موضوع إصلاح التعليم. وقدم تقريرًا إلى الحكومة التركية عن تجديد النظام المدرسي الوطني في تركيا.

وقد طالب سبنسر من قبل بزيادة تدريس العلوم للطلاب في المدارس، وتقليل تدريس الآداب. ثم جاء جون ديوي وطالب بجوب تدريس العلوم بطريقة عملية، هذه الطريقة تكون من خلال الممارسة الفعلية للمهن والحرف النافعة، وليست عن طريق التعلم من الكتب. حيث يجب أن تكون المدرسة في المجتمع الصناعي مثل مصنع صغير. حيث يقوم الطلاب بالعمل اليدوي ويجرون التجارب العملية ويستفيدون من أخطائهم. أي أنه يريد تطبيق نظرية التجربة والخطأ. وينظر إلى التعليم على أنه مجرد عملية إعداد للنضوج. أما التعليم الحقيقي فيأتي بعد التخرج من المدرسة ويستمر مع الإنسان طيلة حياته.

• ٢- الفلسفة الأداتية:

أهم ما ميز جون ديوي هو قبوله بنظرية التطور قبولاً كاملاً ومطلقًا لا لبس فيه ولا غموض. وهو يرى أن العقل والجسم عضوان تنازعا على البقاء فتطورا إلى شكلهما الحالي بعد أن كانا في منزلة أقل كثيرًا. وقد بدأ تناول كل موضوع بداية داروينية تطورية.

وقد رأى ديكارت أن هذا العالم لم يأت دفعة واحدة بل على دفعات تطورت وتكاملت فيما بعد، شعر العالم بالاتجاه الذي سيميل إليه ديكارت ويسود أفكاره. إنه نفس المنطق الذي عبر عنه دارون عن "أصل الأنواع".

وعلى هذا الأساس فُسرت العلاقة ما بين الأشياء ليس على أساس العلة والمعلول وما فوق الطبيعة، بل على أساس مكانها ووظيفتها في البيئة. وقد كان جون ديوي صريحًا في مذهبه الطبيعي، ورفض طريقة التفكير في العالم بأسره جملة واحدة. واعتبر أن ذلك اعتراف من الإنسان بعدم قدرته على التركيز على الأشياء التي تهمنا فقط. كما أعلن عدم ثقته فيما قاله شوبنهور عن الإرادة وما قاله بيرجسون عن الدافع الحيوي. وقال إنها أشياء قد تكون موجودة لكن لا يمكننا عبادتها وتقديسها.

كما رأى ديوي أن الإله موجود في أنفسنا[1] وليس في القوى الكونية المحايدة (حاشا لله). وعلينا أن نخلص للأرض التي نعيش عليها.

كما رفض جون ديوي الميتافيزيقا واعتبرها امتداد للاهوت المتخفي وراءها، وهو في هذا يفعل مثلما فعل بيكون وهوبز وسبنسر ومل. كما اعتقد أن مشكلة الفلسفة هي أن أبحاثها تختلط دائمًا بالأبحاث الدينية.

يقول ديوي:

"عندما كنت أقرأ أفلاطون كانت السياسة هي موضوع الفلسفة وكان الهدف هو تنظيم مجتمع عادل. لكنها سرعان ما غيرت موضوعها وتحدثت عن العالم الآخر، كما أدى اهتمام الفلسفة الألمانية بالموضوعات الدينية إلى حياد الفلسفة عن تطور موضوعاتها. وفي الفلسفة الإنجليزية طغت المصالح الاجتماعية على أبحاث ما فوق الطبيعة. ثم بدأت حرب طويلة استمرت قرنين من الزمان بين المذهب المثالي الذي يمثل الدين والأرستقراطية الإقطاعية الحاكمة والمذهب الحسي الذي يعبر عن الإيمان بالحرية في الديموقراطية التقدمية.

(١) - يبدو أن الفلاسفة المحدثون قرروا الجهر بالكفر وعدم التخفي وراء كلمات خوفًا من الهجوم عليهم أو من عقوبة من الكنيسة كما كان يحدث من قبل. (المترجم)

ولا تزال هذه الحرب قائمة ولم تنته بعد. وهذا يعني أننا لم نخرج تمامًا من العصور الوسطى. ولن يبدأ العصر الحديث إلا بتبني النظرية الطبيعية في كل المجالات. وهذا لا يعني الرجوع بالعقل إلى مجرد كونه مادة، بل يعني ألا نفهم الحياة والعقل بالطريقة اللاهوتية الدينية، ولكن بالطريقة البيولوجية، والعقل كعضو وكائن حي يعيش في بيئة تؤثر عليه ويقاومها.

وحتى نفهم الفكر لابد أن نلاحظه وهو ينشأ في مواقف خاصة، وهو يبدأ من مواجهة الكائن الحي للمشكلات والمصاعب التي تصادفه، ثم يبدأ في تكوين الافتراضات التي ستساعده، ثم يخضعها للملاحظة والتجربة."

ومرة أخرى نقول إن التفكير عملية اجتماعية، وهو لا يحدث في موقف محددة فقط، وذلك لأن الفرد من إنتاج المجتمع مثلما أن المجتمع من إنتاج الفرد. وهذا المجتمع يحتوي على قدر كبير من العادات والأعراف والأفكار التقليدية، وهذه كلها تنتقل إلى كل وليد يولد في هذا المجتمع.

وعمل المجتمع الوراثي هذا عمل سريع جدًا ومكتمل إلى درجة أن الناس يظنون أنها عوامل وراثية أو بيولوجية. وقد وقع سبنسر في نفس الخطأ وقال إن عادات الفكر وصوره خلقية وذاتية في الفرد، بينما هي في الحقيقة نتيجة لانتقال العادات العقلية من البالغين للأطفال. وقد بالغ الأولون كثيرًا في التركيز على دور الغريزة ولم يهتموا كثيرًا بالتركيز على دور التربية في مراحل العمر المبكرة.

وقد أمكن تعديل بعض الغرائز مثلما حدث مع الغريزة الجنسية وغريزة حب الخصام وقد سيطر عليها الإنسان عن طريق التدريب والتعليم. ومن هنا يمكننا أن نعلم أن هناك غرائز أخرى يمكن أن يتم تعديلها والسيطرة عليها مثل غريزة حب الامتلاك والسيادة، وذلك عن طريق التأثير الاجتماعي والتعليم.

• ٣- العلم والسياسة:

أعظم الأشياء وأفضلها عند جون ديوي هي النمو والتطور. كما أنها أجدرها بالاحترام والتبجيل. وقد جعل النمو والتطور مقياسًا أخلاقيًا له. فالنمو في نظره هو المقياس الأخلاقي وليس الخير المطلق.

كما أن الكمال ليس هو الهدف النهائي، فالحياة عملية مستمرة من الكمال والنضوج والتصفية والتنقية. أما الإنسان السيئ فهو من يتجه إلى الانحطاط والفساد مهما كان ماضيه طيبًا أو خيرًا. أما الإنسان الفاضل فهو من يتجه للخير وتحسين أخلاقه مهما كان سيئًا في الماضي. وهذه النظرية تجعل الإنسان شديدًا في الحكم على نفسه وإنسانيًا في الحكم على الآخرين.

وحتى يكون الإنسان فاضلاً، فهذا لا يعني أن يكون طيعًا وسلبيًا، فهذا الفضل فضل أعرج. وفضائل العالم كلها لا تفيدنا بشيء إن كنا بلا عقل أو ذكاء. كما أن الجهل ليس نعمة أو سعادة، بل فقدانًا للشعور واستعبادًا ورقًا. والعقل وحده هو ما يمكننا من المشاركة في تشكيل مصائرنا. وحرية الإرادة هي استنارة السلوك بالمعرفة. كما يكون الطبيب أو العالم أو المهندس حرًا في أفكاره وأعماله بقدر ما لديه من معرفة بعلمه وعمله. وهنا قد نجد مفتاح كل الحريات، حيث نثق في الفكر فقط وليس في الغريزة. فكيف يمكن للغريزة أن توفق بيننا وبين البيئة المصطنعة التي أوجدتها الصناعة حولنا، وأن تحل المشكلات المعقدة التي تحيرنا.

والطريق الوحيد الذي يمكننا من رؤية الموقف بطريقة شاملة هو أن نعرف أن المشكلة كلها تكمن في تطور العلم وتطبيقه في الحياة. وأن تعود الفلسفة إلى سابق عهدها وحبها الأول وهو الحكمة التي هي أصل الخير. أي نعود إلى مبدأ سقراط مع مزيد من وسائل البحث والاختبار.

وقد قبل جون ديوي الديمقراطية مخالفًا بذلك جل الفلاسفة، وذلك على الرغم من علمه بمضارها. فهدف النظام السياسي هو مساعدة الناس على التطور والنهوض بهم

نهضة شاملة. ولن نحقق ذلك إلا إذا اشترك كل فرد قدر استطاعته في تقرير سياسة بلاده ومصيرها. والأرستقراطية والملكية أكثر كفاءة ومقدرة من الديموقراطية، لكنها أكثر خطورة في نفس الوقت. ولا يثق جون ديوي بنظام الدولة بل يريد نظامًا متعددًا، تقوم فيه جمعيات تطوعية بالعمل الاجتماعي، كما أن تعدد المنظمات والأحزاب والنقابات يوفق بين الفردية والعمل العام. لكن تجديد البناء السياسي لا يتحقق إلا إذا طبقنا على مشكلاتنا نتائج التجارب في العلوم الطبيعية.

والفلسفة اليوم لا تستطيع مواجهة العلم، وقد أفلتت منها العلوم علمًا تلو الآخر ودخلت إلى عالم الإنتاج. وبقيت الفلسفة وحدها كأم تركها جميع أبنائها. وقد ابتعدت الفلسفة عن كل ما يهم الناس من مشكلات وأهملت شئونهم وظلت متمسكة بموضوع واحد وهو المعرفة. لذلك فمهمة فلسفة المستقبل هي توضيح آراء الناس فيما يحيط بهم من كفاح اجتماعي وأخلاقي في الوقت الذي يعيشون فيه. وعليها أن تكون مهمتها إنسانية قدر الإمكان، وأن تكون أداة للتعامل مع النزاعات والمشكلات.

فإن فهمنا الفلسفة بهذه الطريقة سننجح في التوفيق بين عوامل الحياة المتصارعة. إنها الفلسفة التي قد تأتي لعالمنا هذا بفلاسفة جديرين بمناصب الملوك.

• ختـــام:

الآن وبعد أن أتم القارئ قراءة هذا الفصل الأخير من الكتاب، ويمكنه أن يلخص بنفسه هذه الفلسفات الثلاث، ويدرك لماذا قدمت سانتيانا على ديوي وجيمس. وربما وجد أنه من العدل أن أفعل ذلك.

فمن الواضح أن أشهر مفكرينا المعاصرين ينتمون تمامًا إلى الثقافة الأوروبية. وذلك لدرجة أن وليم جيمس على الرغم من انجذابه التام للعادات الأمريكية الشرقية في تفكيره، سادت الروح الأمريكية بصفة عامة في أسلوبه. وأن ديوي كان نتاجًا للشرق والغرب معًا وقد أعطى شكلاً فلسفيًا للميل الواقعي والديموقراطي للشعب الأمريكي. إلا أنه من الواضح أن اعتماده كان على الفكر الأوروبي، كما أنه من الواضح أيضًا أن

اعتمادنا على الفكر الأوروبي يقل تدريجيًا، وذلك لدرجة أننا بدأنا أعمالنا الخاصة في مجالات الفلسفة والعلوم والأدب بطريقتنا الخاصة.

إنها البداية بالطبع، فنحن أمة وليدة، وغير قادرين على السير دون دعم من أسلافنا الأوروبيين. فإن وجدنا صعوبة في التفوق على أنفسنا أو شعرنا بخيبة الأمل من سطحيتنا وضحالتنا وتعصبنا الأعمى وتسامحنا غير الناضج، علينا أن نتذكر أن إنجلترا كانت بحاجة إلى مرور ٨٠٠ عام بعد نشأتها حتى يظهر شكسبير[١].

إلا أننا أمة أصبحت غنية، والثروة مقدمة للفن. ففي كثير من الدول وبعد قرون من الجهد البدني، تكون الحاجة إلى الراحة والرفاهية. والثقافة تتطور كما يتطور عالم النبات في التربة الغنية والماء الوافر. وبما أننا دولة غنية، فإننا بحاجة إلى الحياة قبل التفلسف. ومما لا شك فيه أن نمونا كأمة كان أسرع من باقي الأمم. وما تعانيه أنفسنا من اضطرابات يعود إلى سرعة تطورنا. إننا مثل الشباب الذي يظل مضطربًا ومنزعجًا لفترة حين يبلغ الحلم. لكننا سرعان ما ننضج وتتناسب عقولنا مع أجسامنا، كما تتناسب ثقافتنا مع نفوسنا. ربما تكون هناك نفوس أرقى من شكسبير وعقول أعظم من أفلاطون لكنها لم تولد بعد. وعندما نتعلم كيف نحترم الثقافة مثلما نحترم الثروة، سنمر بعصر النهضة الخاص بنا.

انتهى كتاب "قصة الفلسفة"

(١) - اختتم ديورانت كتابه بالفلاسفة الأمريكيين، وهو يرى أن إنجلترا أنجبت خير أبنائها (وليم شكسبير) وهي أمة ناضجة عمرها ٨٠٠ عام، وهذا يعني أنه يرى أن أمريكا (الأمة الوليدة) لا يزال أمامها الكثير من الأعوام لتنجب الكثير من العظماء. (المترجم)